آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية
السنة التاسعة عشرة، العدد الثاني، الخريف والشتاء ١٤٣٧ هـ .ق، ١ – ٢١

صورة السجين الفلسطيني في ديوان «وردة على جبين القدس» لهارون هاشم رشيد

رسول بلاوي*

الملخص

إنّ احتلال أرض فلسطين، وما تبعها من قتل، وظلم، وبطش، وتشريد، دفع المواطن الفلسطيني إلى مواجهة المحتلّين بكل وسائل المقاومة، والتصدّي لهم بروح الوطنيّة والبسالة، والصمود والتحدّي في سبيل الحرية؛ فضاق الاحتلال ذرعاً بهؤلاء المناضلين الذين دأبوا على تحرير وطنهم من مخالب اسرائيل، فزج بهم في غياهب السجون والمعتقلات، وأخذ يمارس ضدّهم أنواع الظلم، والتعذيب، والمهانة اللاإنسانيّة بغية إطفاء هذا المشعل الوهّاج، لكنّ هؤلاء السجناء حملوا رسالة نضاليّة وتوعويّة لأبناء الشعب الفلسطيني المقاوم، وكان لتجربة السجن التي عاشها هؤلاء المناضلين دورٌ بارزٌ في نمو القيم الإسلاميّة والوطنيّة وترسيخ ثقافة المقاومة. وقد اهتمّ الكثير من شعراء المقاومة بتجسيد مواقفهم وبطولاتهم، ومن هؤلاء الشعراء الذين أفردوا ديواناً كاملاً للسجناء هو الشاعر الفلسطيني «هارون هاشم رشيد». هذه الدراسة ستسلّط الضوء على صورة السجين في شعره، ووفقاً للمنهج الوصفي . التحليلي، تهدف إلى استظهار ملامح السجناء ومواقفهم البطوليّة في ديوان «وردة على جبين القدس» من أجل التعاطف الجماهيري مع هذه الشريحة المضطهدة. وقد توصّل البحث إلى نتائج أهمّها: أنّ الشاعر ابتعد عن الندب والبكاء على السجناء، واتّخذ الشعر للمطالبة بحقوقهم وحريّتهم

---

* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة خليج فارس، بوشهر، r.ballawy@pgu.ac.ir
تاريخ الوصول: ١٣٩٥/٧/٩، تاريخ القبول: ١٣٩٥/٩/١٠

والتعاطف معهم. وحاول هارون إظهار بطولات السجناء لكي يزرع الأمل في النفوس ويدعم المقاومة، كما سعى إلى فضح سياسات المحتلين إزاء السجناء وتعذيبهم، لاستنهاض همم البلدان العربيّة في التصدّي إلى هذه القضيّة.

الكلمات الدليليّة: المقاومة الفلسطينيّة، صورة السجين، هارون هاشم، ديوان «وردة على جبين القدس».

١. المقدمة

لقد استخدمت اسرائيل منذ الإحتلال الصهيوني للأراضي الفلسطينيّة، سياسات الاعتقال والاضطهاد ضد أبناء الشعب الفلسطيني الذين رفضوا الخنوع والذل، وتصدّوا إلى سياساتهم التعسفيّة. فالكيان الصهيوني أخذ يزجّ المناضلين الأحرار في السجون لمعاقبتهم على المقاومة والتحدّي، وقد مارس أنواع التعذيب النفسي والجسدي ضد هؤلاء السجناء، كي يصدّهم عن نضالهم، ويزرع الرعب والخوف في صفوف المقاومة. ولعل تجربة السجن التي يعيشها الفلسطينيون تُعدّ من أقسى التجارب البشريّة المعاصرة، لما تركته من أبعاد نفسيّة وإنسانيّة. وإنّنا لاستظهار صورة السجين وما تعرّض له في سجون الاحتلال لجأنا إلى عالم الشعر باعتباره المتنفّس الأسمى لخلجات النفس المأزومة والمفجوعة، فالشعر الفلسطيني المقاوم يحمل بين دفتيه معاناة شعب مضطهد بأكمله، شعب عانى أنواع المآسي في سبيل كرامته وتحرير أرضه من مخالب الإحتلال الغاشم. وشعراء المقاومة استخدموا سلاح الشعر في سبيل نضالهم ودفاعهم عن كرامة أبناء الشعب وما تعرّض لهم في سجون الاحتلال.

الشعر الفلسطيني الحديث، يعكس قيمة فنيّة وثروة فكريّة جليلة، لأنّه يعبّر عن تجربة نفسيّة وشعوريّة صادقة، فهو وليد المعاناة، ونتاج الألم الدفين الذي لحق الشعراء جراء النكبة. ومن شعراء المقاومة الفلسطينيّة الذين أجادوا في التعبير عن مأساة شعبهم ومعاناته، هو الشاعر «هارون هاشم رشيد»؛ فقد كرّس شعره على القضيّة الفلسطينيّة والذود عنها، ودعى للكفاح والصمود، والمطالبة بحقوق السجناء. لقد ترسّخت صورة السجين في شعر المقاومة الفلسطينيّة عامّة، وفي شعر «هارون هاشم» خاصّة، فأصبح السجين نموذجاً حيّاً للمقاومة

والكفاح، وصرخة مدويّة تعبّر عن معاناة الشعب المضطهد؛ والحديث عن السجين يُعتبَر حديثاً عن جهاد الشعب وتضحياته. وأبدع هارون في تصويره الشعري للسجين، فجاءت الصور مشحونة بطاقات دلاليّة ودفقات شعوريّة صادقة ومعبّرة، تنبع من صميم حياته النضاليّة ومسيرته الأدبيّة. وهذه الدراسة جاءت لتسلّط الضوء على صورة السجين الفلسطيني في ديوان «ورده على جبين القدس»، وتبيّن مواقف السجناء البطوليّة، وصمودهم وإنتماءهم الوطني، وتبشّر بالنصر والتحرير، كما تجسّد معاناة السجناء وتندّد بجرائم المحتل.

١.١ أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى استظهار صورة السجناء الفلسطينيين في شعر هارون هاشم وبالتحديد في ديوان «وردة على جبيّن القدس»، كما تهدف إلى استكشاف مآثرهم وأهدافهم النبليّة، والوقوف على ملامحهم، ومواقفهم البطوليّة، وروح التضحيّة والإنتماء الوطني، وفضح انتهاكات إسرائيل لحقوق الأسرى والمعتقلين، وذلك من أجل تعاطف الجماهير مع هذه الشريحة المضطهدة في السجون.

٢.١ أهميّة الدراسة

تتجلّى أهميّة الدراسة في كونها تناولت موضوعاً حسّاساً له مكانة جليلة في ثقافة المقاومة والنضال الوطني. ومن الواضح أنّ صور السجين لم تأخذ حقّها بعد في الدراسات الأدبيّة والنقديّة، فهذه الدراسة أخذت على عاتقها قسماً من هذه المسؤوليّة.

٣.١ منهج البحث

اعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي–التحليلي، الذي يعني بدراسة صورة السجين في ديوان «وردة على جبين القدس»، للوقوف على تجليّاتها، وأبعادها الشعوريّة، وطاقاتها الدلاليّة، وآفاقها الجماليّة، ومواقفها البطوليّة المشرّفة.

٤.١ أسئلة البحث

في هذه الدراسة سوف نحاول الإجابة عن الأسئلة التالية:

كيف تجلّت صورة السجين الفلسطيني في ديوان «وردة على جبين القدس» للشاعر هارون هاشم رشيد؟ ما هي الأسباب التي دفعت الشاعر أن يركّز في هذا الديوان على صورة السجين؟

٥.١ خلفية البحث

لقد اهتمّت الكثير من الدراسات النقديّة الحديثة بالأدب الفلسطيني المقاوم، ومعظمها ركّزت على تجليات المقاومة ومظاهرها، وتصوير الشهيد والشهادة في نتاج الشعراء، وأهملت صورة السجين التي تُعتبَر مادة خصبة للبحث والدراسة. فالدراسات التي أُفرِدت لموضوع السجين الفلسطيني قليلة جدّاً، ومن أهمّها، مقالٌ موسوم بـ «البواعث الموضوعيّة في شعر الأسرى الفلسطينيين» للباحثينِ عبدالخالق العف ومعاذ حفني (٢٠٠٨م)؛ هذا المقال منشور في مجلة الجامعة الإسلاميّة (سلسلة الدراسات الإنسانيّة) وقد ركّز على شعراء المقاومة في السجون والمعتقلات، ومعاناتهم وإبداعاتهم، ووصفهم للسجن. وكتاب «السجن في الشعر الفلسطيني١٩٦٧ – ٢٠٠١»؛ للشاعر فايز أبو شمالة عن السجناء الشعراء الفلسطينيين في المعتقلات والسجون الإسرائيلية منذ حرب حزيران ١٩٦٧ وحتى عام ٢٠٠١. وقد صدر هذا الكتاب عن المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي عام ٢٠٠٣م. ويتميز هذا الكتاب

بكونه موسوعة شعرية تعرّفنا بجيل من شعراء السجون الذين كتبوا شعراً جميلاً وقوياً ورقراقاً وعاطفياً، وصبوراً وغاضباً. ولا يخفي أنّ هاتينِ الدراستين تسلطان الضوء على الشعراء المسجونين دون سواهم من السجناء الفلسطينيين.

والدراسات التي عالجت شعر هارون هاشم هي رسالة الماجستير الموسومة بـ «الأبعاد الموضوعيّة والفنيّة في شعر هارون هاشم رشيد» للطالبة سناء بياري (٢٠٠٦م) في جامعة «بيرزيت الفلسطينيّة». وقد قامت الباحثة بدراسة أهمّ الأبعاد الموضوعية التي ظهرت بقوّة في نتاج الشاعر كالأبعاد الذاتية، والوطنية، والقوميّة والإنسانية، ثمّ قامت بدراسة أسلوب الشاعر وقد ركّزت فيه على بناء القصيدة، واللغة الشعرية، والصورة والموسيقا. وهناك مقال موسم بـ «صورة اللاجئ الفلسطيني في شعر هارون رشيد (ديوان مع الغرباء نموذجاً)» للباحثة نجية فايز الحمود منشور في مجلة «جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات»، العدد التاسع والعشرين، سنة ٢٠١٣م. فقد عالجت الباحثة صورة اللاجئين الفلسطينيين في ديوان «مع الغرباء»، وقد توصّلت في دراستها أنّ هذا الديوان نظّمه الشاعر بعد النكبة مباشرةً، فلذلك يُعتبَر ديوان النكبة في رصده لأحداثها، وقد صوّر فيه الشاعر معاناة اللاجئين وعذابهم النفسي، ومأساتهم في المخيمات والشتات. وهناك مقال آخر باللغة الفارسيّة «بررسی تطبیقی بیداری زنان در شعر حافظ ابراهیم، هارون هاشم رشید، قیصر امین پور، ویوسفعلی میرشکاک» للباحثينِ صمت الله حسنوند، واحمد محمدی نژاد پاشاکی، منشور في مجلة «نقد و ادبیات تطبیقی» التابعة لجامعة رازی کرمانشاه، السنة٢، العدد ٦، سنة ٢٠١٢م. فهذه الدراسة المقارنة تعالج موضوع يقظة النساء ودورها في نتاج هولاء الشعراء وتهتم بالأسلوب أيضا لمعرفة فحوى النص. علماً أنّ هذا الشاعر الفلسطيني لم يحظِ بنصيب وافر من الدراسات النقديّة رغم كثرة الموضوعات التي يمكن تناولها في شعره؛ فإنّنا — عدا الدراسات المشار إليها – لم نعثر على دراسة أخرى عنه، كما لا تُوجَد دراسة مخصصّة لصورة السجين في شعره.

٢. نبذة عن حياة الشاعر

وُلد هارون هاشم عام ١٩٢٧م في مدينة غزّة. وأنهى المرحلة الابتدائية والثانوية فيها، و«بعد حصوله على الدبلوم العالي لتدريب المعلمين من كليّة غزّة، عمل في سلك التعليم حتى عام ١٩٥٤م» (الخليلي، ٢٠٠٢م: ٨٤). ثم «عمل مديراً لمكتب إذاعة صوت العرب بغزّة سنة ١٩٥٤م، ثم مندوباً لمنظمة التحرير الفلسينيّة في قطاع غزة سنة ١٩٦٧م» (شاهين، ٢٠٠٠م: ٢٦). ورحل الشاعر من غزة قسراً بعد حرب ١٩٦٧م، حين أجبرته السلطات الإسرائيليّة على الخروج منها إلى القاهرة، ليعمل ممثلاً لفلسطين في جامعة الدول العربيّة (الخليلي، ٢٠٠٢م: ٨٤).

عاش الشاعر مأساة اللاجئين الفلسطينيين، فقد عمل مدرساً في مخيمات اللاجئين (صدوق، ٢٠٠٠م: ٢٦٢)، وعايش الأحداث وألم المشردين، وذاق مرارة الاغتراب ووحشته، وسكنته هموم وطنه. وهو أحد الشعراء الذين أُطلق عليهم «شعراء النكبة« أو «شعراء المخيم»، كما سمّاه العديد من النقاد شاعر «الثورة واللاجئين»، «وشاعر الغرباء» (الحمود، ٢٠١٣م: ١٥). أصدر هارون عشرين ديواناً شعرياً، منذ عام ١٩٥٤م حتى الآن، هذا فضلاً عن المسرحيات الشعرية والروايات التي تدور في مجملها حول القضيّة الفلسطينيّة، وعودة الفلسطينيين إلى أوطانهم، وعودة فلسطين إلى شعبها.

٣. ديوان «وردة على جبين القدس»

صدر هذا الديوان عن «دار الشروق» في مصر عام ١٩٩٨م وهو كما جاء في غلافه مجموعة قصائد للسجناء والمبعدين، أودعها الشاعر أصدق المشاعر وأنبلها تجاه أبناء شعبه المضطهدين في سجون الاحتلال أو المشردين عن ديارهم ظلماً وجوراً. ويضمّ الديوان بين دفّتيه ٢٠ قصيدة تتراوح بين الشكلين: العمودي والتفعيلي؛ وقد قلب الشكل العمودي من الناحيّة الكمّيّة حيث بلغ عددها ١٢ قصيدة. وقد ضمّن الشاعر ديوانه صوراً لبعض السجناء الفلسطينيين لتفاعل القارئ مع الحدث. وجاءت في خاتمة الديوان قصيدتين حول

الانتفاضة، و٣ قصائد لغزّة. والديوان ورقة فنيّة تمثّل معاناة الشعب الفلسطيني وما تعرّض له من غصب ونهب، وسجن وتشريد إثر الاحتلال الصهيوني الغاشم. وإنّنا حاولنا في هذه الدراسة أن نبيّن للقارئ بقدر المستطاع بعض مظاهر السجين وصوره التي دأب الشاعر على رسمها.

٤. المواقف البطوليّة

أوّل ما يتبادر إلى الذهن في مفهوم البطولة من جانب مدلولها اللغوي أنّ البطولة هي الشجاعة: شجاعة القلب والجسد في القتال. فالبطل شخصيّة عرفت منذ القدم بقوّتها، وشجاعتها، وإقدامها، وقدرتها على التحلّي بالثقة النفسيّة، والثبات على المبدأ، والالتزام بالصدق والإخلاص، والتضحيّة والفداء، والتمتّع بالثراء الفكري والعمق الروحي، وبالقدرة على العمل الفردي والجماعي الدؤوب المنظّم بمثاليّة تسترعي الإعجاب والإطراء، وتدعو إلى التقدير والإقتداء (كلاب، ٢٠١٢م:٦). فصورة البطل«هي الصورة النموذجيّة في كل أمّة، تجتمع فيها كلّ الفضائل المجتمعة في هذه الأمة التي تتوق النفوس لاكتسابها؛ والشعراء حين يخلعون الفضائل على البطل، فإنّهم يستوحون قيم المجتمع ومُثلها العليا» (الرقب، ١٩٨٤م: ١٤).

البطولة سمة عظيمة لا يتّسم بها سوى العظماء الذين يتمتّعون بمقوماتها، ومن هؤلاء العظماء هم السجناء الذين ضحّوا بأنفسهم من أجل الوطن. والشاعر هارون هاشم صوّر في ديوانه «وردة على جبين القدس» بعض الملامح البطوليّة للسجناء، وعلى رأسهم «عبدالهادي سليمان غنيم ابن معسكر النضيّرات» الذي حُكِم عليه ١٦ عاماً في سجون الاحتلال الإسرائيلي؛ فيعتبر الشاعر، هذا البطل فخراً للأمّة، ورمزاً لخلودها (رشيد، ١٩٩٨م: ٤٥):

يـــا فخـــر أمتنـــا، ورمـــز خلودهـــا يـــا أيّهـــا البطـــلُ العظـــيم الســـيّدُ

إنّ أسلوب النداء الذي استخدمه الشاعر في هذا البيت، يضفي على الخطاب نوعاً من التقريب والتحبيب لهذا البطل الثائر الذي ضحّى بنفسه في سبيل تحرير بلاده؛ فأصبح بذلك

مستحقّاً لهذه الصفات التي ذكرها الشاعر. وفي الأبيات التاليّة يصوّر مواقف الشيخ أحمد ياسين البطوليّة وهو في السجن (رشيد، ١٩٩٨م: ٥١):

مُقعَـدٌ صـوتُه، يُجلجـلُ في السّـجن فتهتـزّ مـن صَـداه السـجونُ
هـو أقـوى مـن السّلاسـل والسّـجان أقـوى فـؤاده، والجبـينُ
آيـةُ النّصـر في محيـاه تعلـو وهـي فجـرٌ، مـن الجهـاد مبـينُ

فبالرغم من مرض الشيخ في سجون الاحتلال إلّا أنّه يهزّ السجون بصوته الثائر، فقوّته وهو مكبّل بالقيود، تعلو على كلّ قوّة، وتبشّر بالنصر القريب والفجر المبين. وفي هذه الأبيات حركة المكان المقاوم/ السجن تمثّل في وجدان الشاعر وخياله شرارة الثورة والانطلاق.

وفي قصيدة «اعتذار.. وانكسار» يخاطب الشاعر «سهيلة أندرواس» في سجنها البعيد، ويتغنّى ببطولاتها وقوّتها الراسخة (رشيد، ١٩٩٨م: ٦٥و٦٦):

أعتذر إليكِ/ وأشهدُ أنّك أقوى منا/ أقوى من كلّ وسائل العظماء/ وكلّ الكبراء،/ أقوى من كلّ الكذّابين،/ والدجالين، وكلّ الفصحاء/ من يقدر أن يغضب/ أو يصرخ أو يستاء

يعتذر الشاعر من هذه السجينة التي قهرت العدو بقوّتها وصلابتها، ويفضّلها على كلّ العظماء، وكلّ الكبراء، والكذّابين، والدجالين، والفصحاء الذين تقاعسوا عن نصرتها ومساعدتها؛ فهي شأنها شأن الكثير من السجناء تُعذّب وتُهان في سجون الاحتلال، ولم ينهض أحدٌ لنصرتها، فانبرى هارون هاشم لتكريم مواقفها وتعظيم شخصيتها.

وقام السجين الفلسطيني بمواقف بطوليّة في سبيل الوطن، فضحّى بنفسه وحياته للذود عن كرامة الشعب، ومصير المقاومة وإذكاء مشعلها الوهّاج؛ وبذلك استحقّ تكريم الشعب وعلى رأسهم الشعراء فذكروا السجين بإجلال وتعظيم، وأنشدوا له أشعاراً تبيّن مكانته في القلوب. وقد حاول الشاعر هارون هاشم إظهار بطولات السجناء لكي يزرع روح الأمل والتحدّي في نفوس الشعب، ويدعم المقاومة وسط هذه الأجواء القاتمة.

٥. الدعوة إلى الجهاد

للجهاد في حياة الثوّار مكانة ساميّة تنبثق من الشريعة الإسلاميّة التي أعلت شأن الجهاد والمجاهدين في سبيل الله. وإيمان السجناء بأهميّة الجهاد في التصدّي للعدو، وتحرير الأرض واستعادتها، دفعه إلى أن يقطع عهداً على نفسه كي يرفع علم الجهاد والمقاومة في وجه الاحتلال حتى تعاد الحقوق المسلوبة إلى أصحابها؛ وفي هذا السبيل دعى الشيخ السجين أحمد ياسين أبناء شعبه الأحرار إلى المقاومة والتحدّي، والجهاد في سبيل الوطن (رشيد، ١٩٩٨م: ٥١):

الجهـــاد الـــذي رفعنـــا لـــواه ... هـــو مـــن أجلهـــا عزيـــزٌ مكـــينُ
لا انثنـــاءٌ، ولا ارتـــداد ولكـــن ... ثـــورةٌ غيثهـــا ســـكوبٌ هتُـــونُ
بالـــدماء، الـــدماء نـــروي ثراهـــا ... لا جبـــانٌ في صـــفّنا لا خثـــونُ

فرآية الجهاد تبقى خفّاقة من أجل تحرير الوطن المسلوب، والشعب في ثورته العارمة لا يعرف الانثناء ولا الارتداد، فكلّهم أبطال وشجعان، لا يُوجد في صفوفهم جبان. وصيغة الجمع في (رفعناه؛ نروي؛ صفّنا) تدلّ على التوحّد في صفوف المقاتلين؛ فالشاعر يرى أنّ التوحّد هو الطريق الأمثل للحفاظ على القضيّة مؤكّداً ذلك بقوله: «أقولها بملء فمي، يجب التوحّد، التوحّد من أجل الحفاظ على وحدة قضيتنا وعدالتها» (الحمود، ٢٠١٣م: ٣٦). وفي قصيدة تحمل عنوان الديون أي «وردة على جبين القدس» في مقام الحديث عن السجين هادي سليمان، يقول هارون (رشيد، ١٩٩٨م: ٣٤):

إنّـــا علـــى ميعادنـــا، فترقبـــوا ... في كـــلّ فجـــرٍ ثـــورةً تتوعّـــدُ
هـــي ثـــورة الفقـــراء يمضـــي خطوهـــا ... لا خـــائفٍ فيهـــا ولا مـــترّددُ
إنّ الجهـــاد عقيـــدة في شـــرعنا ... وهـــو اللـــواءُ الواحـــدُ المتوحّـــدُ

فالسجن لا يستطيع أن يثني عزيمة الثوار وارادتهم، فالثورة قادمة لا محالة؛ هي ثورة الفقراء والمعدمين الذين لا يعرفون الخوف والتردّد، والجهاد عقيدة مترسّخة في شرعهم، وهو اللواء الوحيد الذي يجتمع حوله كل شرائح الشعب. فالشعب تجرّع أنواع الظلم والمهانات ولا يرى سبيلاً أمامه إلّا الجهاد لاستعادة حقوقه وحثيته (رشيد، ١٩٩٨م: ٥٠):

الجهـادُ.. الجهـادُ، مـا مـن سـبيلٍ غـير هـذا، نكـون .. أو لا نكـون

وهذا التكرار (الجهاد.. الجهاد) في مستهل البيت، يعكس بُعداً فنيّاً، ويؤدّي وظيفة مهمّة في ربط النص وتماسكه من الناحيتين الإيقاعيّة والفكريّة، فضلاً عن الفائدة المعنويّة التي تُوحي باستمراريّة المقاومة والجهاد.

٦. الصمود والتحدّي

يعمد الشاعر إلى خلق روح المقاومة والمثابرة في نفوس المناضلين، وذلک بدعوته إلى الصمود والتحدّي، ومجابهة العدو وصدّه، ممّا يضع المتلقي أمام شخصيّة السجين بأبعادها الوطنيّة والقوميّة. فالسجين أبرز من يمثّل هذا الصمود والتحدّي وهو قابعٌ في السجون، فيهدّد العدو ويتوعّد، ويحثّ الشعب على المقاومة والنضال. فتظهر مهمّة السجين بعث روح المقاومة وتأصيل أركانها في النفوس (رشيد، ١٩٩٨م: ٣٩):

حجـرٌ إلـى حجـرٍ، ويهـدرُ عـارمٌ مـن موجنـا، يعلـو الـدّروبَ ويُزبِـدُ
حجـرٌ إلـى حجـرٍ، وتمضـي ثـورةٌ شـعواء عارمـة تضـجُّ وتُرعِـدُ

فسوف تشتعل نيران ثورة عارمة باستمراريّة هذا النضال والكفاح الجمعي. ولا يخفى أنّ التكرار الاستهلالي (حجرٌ إلى حجرٍ) فيه عمارة هندسية مثيرة للدهشة؛ تتابع الحجر في العبارتينِ يدلّ على كثرة التراشق والاستمرار في حركة النضال الفلسطيني، حتى أصبحت الثورة كالسيل العارم والموج الهائج. ولفظة «حجر» في هذا السياق هي المركز الذي يدور حوله الحديث، فكأنّه مفتاح المعنى والشعور معاً. وفي هذا التعبير لا يعبّر الشاعر عن تجربة فردية خاصة، بل عن تجربة جماعية، تشي برؤية الشاعر وتحمّسه في استمرار الحركة الجماعيّة والنهوض ضد العدو. فالحركة مستمرّة ومتواصلة دون أيّ تقاعس وتخاذل أو نسيان، إلى أن يأخذ الشعب ثأره من هؤلاء الطغاة (رشيد، ١٩٩٨م: ١٨):

مـن قـال أنّـا قـد نسـينا ثأرنـا أو أنّنـا عـن ثأرنـا نـتردّدُ
عـينٌ بعـينٍ، لـن نغـيّر نهجنـا سِـنٌ بسـنٍّ، شـرعةٌ تتجـدّدُ

فهذا هو قانون الثأر والانتقام في الفكر الديني المقتبس من القرآن الكريم ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾ (المائدة/٤٥)؛ لقد تناصَ الشاعر في البيت الثاني مع هذه الآية الشريفة للحثّ على الثأر؛ لأنّ السجين الفلسطيني يرفض الذل والهوان، ويتسابق على العزّة، والشهادة والإباء، ويحمل قيمة تربويّة، ورسالة إنسانيّة شريفة، يسعى جاهداً إلى ترسيخها في الأجيال القادمة.

وفي النص التالي يخاطب الشاعر السجينة «سمر سامي العلمي» في سجنها البريطاني البعيد (رشيد، ١٩٩٨م: ٧٨):

شامخة كما جبال القدس/ والخليل، مثلما نابلس يا سمر/ ثابتة كما صمودنا الأغر/ تعلمين القادمين من أجيالنا،/ والنابتين في مسالك الشّرر/ بأنّ لا شيء يساوي/ لحظة افتداء الأرض،/ لحظة الظفر

فهذه السجينة البطلة، شامخة في قوّتها وعزّتها كالجبال، وتمثّل قمة الصمود والتحدّي في سجون العدو، وبذلك تنقل رسالة ساميّة وشريفة للأجيال القادمة فلا شيء يساوي افتداء الوطن الغالي. الشوق والتطلّع إلى لحظة الانتصار غرس في مخيلة سمر روح التحدّي والصمود والمقاومة أمام العنف والبطش.

٧. الانتماء الوطنيّ والتمسّک بالأرض

حبّ الوطن والانتماء إليه غريزة فطرية جُبِل عليها الإنسان؛ فالإنسان يعشق وطنه ويعتز بانتماءه إليه، فكيف إذا كان هذا الوطن محتلّاً تُمارَس ضده أنواع الظلم والعدوان؛ فلا شک في مثل هذه الأجواء، تظهر الوطنيّة بقوّة لدى هذا الإنسان، لأنّ «الوطنيّة عاطفة نبيلة يستشعرها المواطن تجاه وطنه من خلال مجموعة من الروابط الروحيّة التي تتنامى في داخله وتنعكس في سلوكه» (الدروع، ١٩٩٩م: ٢٥). والانتماء الوطني يظهر بكثافة في سلوكيات السجين الذي بذل نفسه دون الوطن، وأحبّ البلاد وأرضه بكلّ إخلاص؛ فيتحدّث الشاعر عن وطنيّة السجينة «سمر» وإخلاصها قائلاً (رشيد، ١٩٩٨م: ٩٢):

جعلـــت فلســـطين الحبيبـــة همّهـــا والغايّـــة القُصـــوى الـــتي تترقّـــبُ
حَلِمَـــت بهـــا وطنـــاً، كريمـــاً آمنـــاً لا ظـــلمٌ فيـــه، ولا متعصّـــبُ
قالـــت: لأجلـــكِ يـــا بـــلادي همّـــتي ولأجـــل مـــن قـــد شُـــرّدوا وتغرّبـــوا

يؤكّد الشاعر مدى تمسّك السجينة بوطنها وشوقها إليه رغم الظلم الذي تعرّضت له في سبيل هذا الوطن وتحريره. وفي هذه الأبيات يخاطب الشاعر، السجين المضطهد «عبدالهادي سليمان غنيم» (رشيد، ١٩٩٨م: ٤٢):

هـــم يســـألونک: مـــا انتمـــاؤک؟ ويحهـــم جهلـــوا فهـــل هـــذا ســـؤالٌ يُـــوردُ
الإنتمـــــاء لكـــــلّ حبّـــــة رملـــــةٍ بالـــــدّم خضّـــــبها الشّـــــباب الأمجـــــدُ
«شـــعبي هـــو التنظـــيم» قلـــتَ مجلّـــلاً فيـــــه نُجَمّـــــعُ للجهـــــاد، ونُحشـــــد

ويوظّف الشاعر أسلوب الاستفهام للدلالة على التعجّب والتحسّر والألم، ومدى حماقة المحتل الذي يريد نكران الحقائق وطمسها، فالاستفهام جاء بلغة ملتهبة فيها تأنيب وتوبيخ. كيف يستطيع المحتل أن ينكر وطنيّة هذا الرجل المناضل وانتماءه، وهو ينتمي إلى أرضٍ مخضّبة بدماء الشباب الذين جاهدوا واستشهدوا في سبيل الوطن وتحرير أرضه. وفي هذا السياق يتجاوز الشاعر أطر الوطنيّة إلى أبعاد إنسانيّة رحبة، تحذّر الانتماء للأرض (رشيد، ١٩٩٨م: ٤٢):

قـــد أحـــبّ الـــبلاد – أرضـــاً سمـــاءً فهـــــو بـــــالأرض مُغـــــرمٌ مفتـــــون

فالسجين أحبّ البلاد وأخلص الودّ إلى أرضها للحفاظ على كرامة شعبه ومشروعيته. فالأرض ليست مجرد مساحة جغرافيّة محدّدة، بل هي مسرح الطفولة، وتمثّل العزة والكرامة والانتماء؛ وبما أنّ الفلسطيني ابن هذه الأرض فقد تجرّع المآسي واكتوى بنيرانها، وعشق هذه التربة المباركة بإيمان وإخلاص.

٨. التضحيّة والفداء

عندما يؤمن الإنسان بقضيّة إيماناً حقيقيّاً راسخاً، يصل إلى مرحلة التماهي معها والفداء في سبيلها، فيضحّي بكلّ شيء نفيس في سبيلها، ولا يبخل بنفسه التي هي أغلى ما يملكه في

سبيل قضيته. وإذا كانت هذه التضحية في سبيل الوطن وكرامته، فبالتأكيد سيصبح لها معنى آخر أكثر قيمة وانتداباً في النفوس. وفي هذا الصدد لقد ضحّى السجناء الأشراف بأنفسهم وحياتهم، وعوائلهم من أجل الوطن وتحريره من قيود المحتلين. والشاعر هارون هاشم جعل من السجن مصدر عزّة وكرامة وفخر بوصفه رمزاً للتضحيّة والفداء؛ وراح يستعرض في ديوانه مظاهر من التضحيّة والفداء لدى السجناء الفلسطينيين، ففي قصيدةٍ له يقول (رشيد، ١٩٩٨م: ٢١):

حمـــل الأذى زمنـــاً، ومـــا مـــن مـــرّةٍ خـــــان الأمانـــــة شـــــعبُه المتجلـــــدُ

يرى أنّ السجين تحمّل أنواع الأذى والمعاناة في سبيل وطنه، ولم يتوان طرفة عين ولم يخن أمانة شعبه الملقاة على عاتقه؛ وفي حديثه عن «سمر العلمي» يقول (رشيد، ١٩٩٨م: ٩١ و ٩٢):

سمـــر العزيـــزة، آثـــرت في بـــذلها وطنـــاً، يهـــدّدُ بالضـــياع ويُنهَـــبُ
ضـــربت لنـــا مـــثلاً، وكانـــت قـــدوة في البـــذل، لا تخشـــى ولا تتهيّـــبُ
مـــا همّهـــا تـــرف الحيـــاة ولهوهـــا أو أيّ مـــا يُغـــري البنـــات ويجـــذبُ

فهذه المناضلة المسجونة في غياهب السجون البريطانيّة آثرت أن تفدي نفسها في سبيل وطنها المهدّد بالضياع، حتى أصبحت أسوة للثوّار يُقتدَى بها وبنهجها القويم؛ فهي سلكت هذا النهج بقلبٍ ثابت وعقيدة راسخة لا تخشى ولا تهاب شيئاً، ولم تغريها مغريات الحياة وملاهي الترف والراحة التي شغلت بنات العصر.

٩. التفاؤل بالنصر والتحرير

لقد شكّلت شعريّة الحلم والتفاؤل بالنصر والتحرير في الشعر الفلسطيني رافداً ثرّاً من روافد المقاومة، لتخطّي الواقع المزري، والتطلّع نحو مستقبل مشرق؛ فشعر المقاومة الفلسطينيّة يمتاز بـ «نشاط فكري مؤثّر، يقاوم أسباب الضعف التي تواجه الأمّة، إذ ينبّه إلى الخطر المحاط بها، ويتخطّى انكسارات الواقع إلى أبعاد تحريريّة خصبة تندرج في إطار ازدياد الوعي الوطني، في ضرورة تحقيق النصر» (الضمور، ٢٠١٢م: ٢٠٨). وهذا يعود إلى إصرار الشاعر وأمله بالثورة والشعب والنصر القريب. ومن يتمعّن في شعر هارون هاشم يجد أنّه كان طوال هذه

السنين العجاف، شاعر الأمل والثورة، عندما يحلّ اليأس وتدلهم الظلمات، فهو يركّز في تعبيره وألفاظه على الحريّة بكل أبعادها، والحريّة التي كانت تهمّ الشاعر هي حريّة الكلمة، وحريّة الحياة على أرض البلد، وحريّة أن يكون إنساناً كما هو يريد لا كما يريده الآخرون (بياري، ٢٠٠٦م: ١٠١). يقدّم هارون هاشم ديوانه للسجناء، فكتب في صفحة الإهداء: «**إلى من أحبوا الحرية/ وشقّوا الطريق إليها/ إلى كلّ السجناء والأسرى/ في سجون الاحتلال الظالم/ بشراهم بالفجر/ بشراهم** بالنصر». فمنذ الصفحة الأولى من هذا الديوان والشاعر يزفّ لهم بشرى النصر؛ وفي البيت التالي يقول (رشيد، ١٩٩٨م: ١٥):

فَهمو البشارة بالصّباح الحُرّ بالفجر المنير ولهم وليس لغيرهم جُدِلَت أكاليلُ الزّهور

فهولاء السجناء هم بشارة النصر والحريّة إلى الشعب؛ و- «الصباح» و«الفجر» يرمزان إلى بداية حياة جديدة بعيدة عن قيود الاحتلال، تعمّها الكرامة والحريّة. وفي البيت التالي يخاطب «سمر» قائلاً (رشيد، ١٩٩٨م: ٩٥):

فتحمّلي بالصّبر، آتٍ فجرُنا ما اسودّ ليلٌ أو تطاول غيهبُ

هذا الخطاب لا يخلو من التحريض على المقاومة، وهو مضمون راسخ في الشعر المقاوم الذي يعكس التزام الشعراء وإيمانهم بقضاياهم الوطنيّة؛ فهذا النداء كأنّه نشيداً جماعيّاً للمقاومين، يشحذ همّتهم، ويدفعهم إلى الأمام، وتسكيناً للسجينة القابعة في السجن. وفعل الأمر (تحمّلي) يوحي بالقوّة والتكثيف الشعوري، و فعل (آتٍ) المضارع يشكّل المكوّن الرئيس للنصر الذي يشحن همّة المناضلين في صفوف المقاومة؛ وإذا أنعمنا النظر في المستوى الدلالي للأفعال نرى أنّها تدور في فلك دلالي واحد وهو التفاؤل بالنصر والتحرير. وفي النص التالي يخاطب الفتي المسجون «منذر الدهشان» (رشيد، ١٩٩٨م: ٥٩و٦٠):

مهما دجى ليلُ الأسى،/ واسودّ،/ مهما اشتدت الأحزان/ مهما القيودُ أحكمتُ وثاقها/ واسودّت الجدران / فقادمٌ زمانُنا الآخر،/ قادمٌ من رحم الأزمان/ يُبشّرُ الثّقاة، والمرابطين/ في خنادق الصّمود / بالسّلام والأمان/ بساعة آتية يُهَدُّ فيها السّجنُ،/ مهما صَلُبَت جُدرانه،/ ويُسحَقُ السّجان ..

فمهما طال ليل الظلم والأحزان، فلا محالة سيأتي النصر والأمان، وستأتي الساعة التي سيُدحَر فيها الاحتلال في مزابل التاريخ. وقد شاع في هذا النص حرفُ السين الذي يوحي بمستقبلٍ قريب بإذن الله، والذي يُعتبَر حرفاً عالي الصفير، حادّ الجَرْس، أضفى على هذا النص جمالاً موسيقياً وصوتياً. وقد ورد هذا الحرف بكثافة في كلمات لها طابع سلبي في قاموس النضال كـ «الأسى، اسودّ، اسودّت، السّجن، يُسحَق، والسّجان»، لكن تبدو للقارئ الغلبة لمفردة «السلام» فهي الكلمة المفتاحيّة في هذا النص، وقدجاءت مدعومة بلفظة «الساعة» التي يعتبرها الشاعر آتية لامحالة.

١٠. تجسيد المعاناة وتعذيب السجناء

يرسم هارون هاشم في ديوان «وردة على جبين القدس» بُعداً مؤلماً من صور المعاناة التي تعرّض لها السجناء في سجون إسرائيل. فهذه المعاناة القائمة ولّدت لدى الشاعر «شعوراً غائراً بالظلم، وإحساساً عنيفاً بالقهر، ولكن روح الوطن ظلّت تسكن روحه، وترتحل معه أنّى رحل، كما ظل متمسّكاً صابراً، ينسج خيوط الأمل، ويحلم بغدٍ أفضل» (موسى، ٢٠٠٩م: ٢٩). وفي حقيقة الأمر إنّ تصوير المعاناة عامل محفّز عند كثير من الشعراء الفلسطينيين لابتكار الصور، والألفاظ الموحيّة، بغية تصوير أثر الاحتلال وبيان آثاره النفسيّة (الضمور، ٢٠١٢م: ٢٠٤). ويقوم الشاعر هارون هاشم في النص التالي بمطالبات مشروعة تكشف مخطّطات العدو، وما يحيكه من مؤامرات ضد الشعب الفلسطيني الأعزل، وما يمارسه من تعذيب وتنكيل في حق السجناء؛ ففي قصيدة عنوانها «دعوة إلى الكتابة» يوجّه نداءاً إلى جميع الأحرار أن يكتبوا عن السجينة «سمر» (رشيد، ١٩٩٨م: ٩١):

يـــا إخـــوتي.. أدعـــوكم أن تكتبـــوا لعزيـــزة، جـــوراً وظلمـــاً تُغلَـــبُ
في الســـجنِ أختكم، تعـــاني قهرهـــا وبليلهـــا القاســـي الطويـــل تُعـــذّبُ

وقد صدّر القصيدة ببيان صادر للدكتور «أنيس صايغ السفير» ننقل نصّه كما هو: «.. لعلّ أقل ما نعبّر به عن إعجابنا بسمر سامي العلمي، وإكبارنا لمشاعرها الوطنيّة، والإنسانيّة هو أن نكتب لها وهي في زنزانتها البريطانيّة الباردة، لنبلغها كم هي غالية علينا وكم نحن

فخورون بها..» (السابق: ٩١). فمن هذا النداء والبيتين السابقين نستشفّ أنّ أقلّ ما يمكن أن تقدّمه الإنسانيّة إلى هذه المظلومة المضطهدة هو الكتابة عنها والتفاعل معها وإدانة العمل الشنيع الذي قام به الاحتلال. وفي النص التالي يصوّر هارون مدى معاناة السجين «عبدالهادي سليمان» قائلاً (رشيد، ١٩٩٨م: ١٩):

إنّ «النُّصيرات» الحبيب مُكبّلٌ بسلاسل الغزو الرهيب، مقيّدُ
وجراحُه، لما تزل مفتوحةً ما من يدٍ تأسو الجراحَ تُضمّدُ

فيصف الشاعر حالة هذا السجين المكبّل بالسلاسل والقيود، وجراحه تنزف دماً إثر الضرب والتعذيب، فلا يشفق لحاله أحدٌ ولا يبادر لتضميد جراحه. وقد وصف حالة الشيخ العجوز أحمد ياسين في سجون الاحتلال قائلاً (رشيد، ١٩٩٨م: ٤٩):

في دجى السّجن في شقاء لياليه مريض معذّبٌ، مطعون
شيخها المقعدُ العظيم يقاسي لا طبيب، لا زائرٌ، لا مُعينُ

فهذا الشيخ المشلول في سجون الاحتلال والمقعد كسائر السجناء في شقاوة وتعذيب، يقاسي أنواع المحن والشدائد في السجن، فلا طبيب، ولا زائر ولا معين يتفقّده؛ لكن كلّ هذا العذاب والأذى لم يثني عزيمته وصموده، فبقي كالجبل الشامخ يناضل ويكافح في سبيل بلده (رشيد، ١٩٩٨م: ٥٠):

عذّبوه، فما تراخى ارتداداً لا، ولاهزّه العذاب المهينُ

لقد سعى الشاعر أن يكشف عن سياسات اسرائيل إزاء السجناء وتعذيبهم وإذلالهم، ليستنهض همم البلدان العربيّة للتصدّي لهذه القضيّة، ويشارك السجناء في معاناتهم المستمرّة في سجون الاحتلال ما بين تعذيب جسدي ونفسي، ولهفة للقاء الأهل والأحباب، وعاطفة متلهّفة.

١١. صورة المرأة (أمّ السجين وزوجته)

ولما كانت المرأة وسيلة هامّة للتحريض على العدو، واستنهاض همم الثائرين، فالشاعر لم يغفل استدعاء هذا التراث الفكري الخصب في نتاجه، إذ بدأت المرأة تتسلّل إلى ثيمات نصوصه

تدريجيّاً، بما يتّفق مع الظروف الراهنة، وتعاظم حالة الانكسار. ومن علامات الأسى العميق التي رافقت القصائد الهارونيّة عن السجناء هي الحديث عن المرأة (الأم والزوجة)، وما تعرّضت له من شدائد ومحن جراء اعتقال عزيزها؛ فالمشاعر الإنسانيّة النبيلة تتحرّك لمثل هذه المواقف.

١.١١ أم السجين

المرأة تُعتبَر ركناً هامّاً من أركان المجتمع على شتّى الأصعدة السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة؛ وهي محور تحريض الرجل، ومصدر انطلاقاته الأولى، فالأمّ ربّت في حضنها الأجيال، ولها تأثير فاعل في مصير المجتمع. والأم تحرّك أبنها للمساهمة في ساحات المقاومة وبإمكانها أن تحرّر شعباً من براثن الأسر (رستم بور، وشيرزاد، ١٣٩١ش: ٨٥). والشاعر هارون هاشم لم يُعن بالأمّ إعتناءاً عاطفيّاً، فقد كانت الأمّ عنده هي الوطن، ومصدراً للرجولة والبطولة؛ وكثيراً ما انعكست صورتها في شعره تجسيداً لهذه النظرة (رشيد، ١٩٩٨م: ٢٤):

فهنـاك في حضـن «النصـيرات» الـذي ... في الإنتظـــــار حبيبـــــةٌ تتوجـــــدُ
هـــي أمُّـــهُ مَـــن أرضـــعته رجولـــةً، ... وبطولـــــةً، وبـــــه تتيـــــهُ وتَســـــعَدُ

فهذه الأمّ التي طال انتظار حبيبها المسجون، هي التي أرضعته الرجولة والبطولة، وشجّعته على الدفاع عن كيان وطنه؛ وفي نفس القصيدة نراها تحرّض أبنها على الجهاد والمقاومة بهذه النبرة المتصاعدة (رشيد، ١٩٩٨م: ٢٦ و ٢٧):

قالـت: علـى اسـم الله خطـوك فـانطلق ... تُرعـــــى بعـــــين الله أنّـــــى تُوجـــــدُ
كـــــبّر فللتكبـــــير في أوطاننـــــا ... رجـــــعٌ، كزلـــــزالٍ، يمـــــورُ ويُرعـــــدُ

فهكذا أصبح للمرأة/ الأم الفلسطينيّة دور بارز في تجسيد قضايا النضال والكفاح الوطني. والمناضلون استمدّوا من قوّتها وإرادتها وعزمها طاقات نضاليّة لا تنثني أمام قدرة العدو. والأمّ يعزّ عليها أن تودّع إبنها وتفارقه، لكنّ حب الوطن أغلى لديها (رشيد، ١٩٩٨م: ٢٦):

غـــــالٍ عليهـــــا ابنُهـــــا، ونجيُّهـــــا ... يمضـــي علـــى الـــدّرب المخـــوفِ، ويُبعـــدُ
غـــــالٍ عليهـــــا، أن يهـــــدّمَ بيتُـــــهُ ... يـــــدمَّرَ العُـــــشُ الـــــذي قـــــد شَـــــيّدوا
لكنهـــــا الأغلـــــى عليهـــــا أرضُـــــهُ، ... وترابـــــــــه، وتراثـــــــــه، والمجتِـــــــــدُ

إنّنا أمام مشهد شعري رسمه الشاعر بحروف ثوريّة، فالأمّ بالرغم من خوفها وقلقها على إبنها الغالي عندها، إلّا أنّ انتماءها للوطن وحبّها له، منعها من أن تصدّ إبنها عن الجهاد والفداء، لأنّ أملها كبير في الانتصار.

٢.١١ زوجة السجين

أصبحت زوجة السجين مظهراً من مظاهر الحزن والأسى، ورمزاً شعرياً زاخراً بالدلالات والرؤى. وقد حظيت بحضور واسع للتعبير عن مختلف التجارب، فهي تشكّل منطلقاً فكريّاً تجاه الأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة وتجاه القضايا الإنسانيّة عامّة. ففي ظلّ الظروف القاسية وأجواء الاحتلال، تبقى زوجة السجين في غياب زوجها وحيدة، لا أحدٌ يُلبّي نداءها أو يردّ على انكساراتها (رشيد، ١٩٩٨م: ٧٢):

لماذا ..؟ فيمَ؟ لا أحدٌ يُلبّي ندائي أو يردُ على انهياري
أ أنسانيّةٌ هذي لعمري ملطّخةٌ بعارٍ، أي عارِ
بلا حكمٍ، ومحكمةٍ وعدلٍ يظلّ رفيق عمري في الإسارِ

هذا النداء يخاطب الإنسانيّة جمعاء، وتطالب بالإفراج عن زوجها ورفيق عمرها المسجون بلا حكمٍ، ومحكمةٍ وعدلٍ؛ كما وجّهت زوجة السجين «أحمد ياسين» نداءً للإنسانيّة لنجدة زوجها الذي مرض وهو في سجون الاحتلال، فيقول الشاعر عن لسانها (رشيد، ١٩٩٨م: ٥٠):

سجنوه، وما دروا أيُّ شيخ هو هذا المقيّد المسجونُ
سجنوه، وهو الطّليقُ بروحٍ تتحدّى .. فمن تُراه السجينُ؟
سجنوه، والسجنُ يسمو شموخاً بالبطولات يزدهي ويزينُ

فنداؤها هذا يدلّ على الصمود والصبر الذي انتاب هذه الزوجة الصابرة على الرغم من العذاب الذي يتعرّض له زوجها في غياهب السجن. وتكرار عبارة «سجنوه» بشكل عمودي في مستهلّ الأبيات يدلّ على عظم الأعمال القمعيّة التي يقوم بها الاحتلال ضد هذا الشيخ

المغوار الثابت أمام العدو الغاشم. وفي البيت التالي يصوّر الشاعر زوجة السجين التي تحمل بين أحشائها طفلاً (رشيد، ١٩٩٨م: ٢٧):

مـــازال في أحشـــائها مـــن نبضـــه أمـــلٌ، مـــن الحـــزن الكبـــير ســـيُولدُ

في هذا البيت ركّز الشاعر على قضيّة مهمّة وذات أبعاد إنسانيّة تهزّ المشاعر وتفجع القلوب، فهذه الزوجة التي تجرّعت شتّى أنواع المصاعب والمحن في غياب زوجها، تحمل بين أحشائها طفلاً من ذلك السجين، وسيُولَد في حزن كبير وأسى عظيم. وقد اعتبر الشاعر هذا الطفل أملاً يبشّر بالخير والفرج. والطفل يُعتبَر شريحة مهمّة في الشعب الفلسطيني، ووثيقة إنسانيّة أكثر إيلاماً، فقد حُرم الطفل من تحقيق أحلامه، ومن أبيه السجين، فعاش بمرارة وقساوة. «لفظ الطفل يحمل الكثير من الإشعاعات والدلالات، ما يغري الشعراء لتوظيفه وما يحمل من دلالات الحب، والبراءة، والسلام، والأمل، والطهارة، وما يثيره من روح التمرّد والمقاومة والتضحية والصمود» (الشنباري، ٢٠١٥م: ٦).

١٢. النتائج

إنّنا في هذه الدراسة الموسومة بـ (صورة السجين الفلسطيني في ديوان «وردة على جبين القدس» لهارون هاشم رشيد) توصّلنا إلى نتائج نشير في ما يلي إلى أهمّها:

– استطاع هارون هاشم أن يؤرّخ بلغة شعريّة لمعاناة الشعب الفلسطيني، وعلى رأسهم السجناء، فجاء شعره صوتاً مدويّاً يطالب بحريّة السجناء، ويتعاطف معهم، فهو شاعرٌ وناقدٌ ومناضلٌ في الوقت نفسه.

– طوى الشاعر صفحة البكاء والندب والتحسّر على السجناء، واستخدم شعراً رصيناً يمتاز بالمنطق، وروح المقاومة، والانتماء الوطني، والصمود والتحدّي أمام العدو الغاشم.

– صورة السجين تنطلق من مرجعيات روحية، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالفكر الإسلامي، ممزوجة بتجارب حديثة، ومتّصلة بحقول دلاليّة خصبة مكثّفة، شديدة الالتصاق بوجدان المتلقي ومخيلته.

– السجين في شعر هارون رشيد إنسان يتعايش مع الواقع المزري بكلّ متغيراته، ويعبّر عن آلام وآمال أمته، ويمثّل مواقفها الفكريّة، وقيمتها الثقافيّة، ويسعى جاهداً إلى تحقيقها على أرض الواقع بموضوعيّة.

– لقد سعى هارون هاشم أن يكشف عن سياسات إسرائيل إزاء السجناء وتعذيبهم وإذلالهم، ليستنهض همم البلدان العربيّة للتصدّي إلى هذه القضيّة الإنسانيّة؛ كما حاول إظهار بطولات السجناء لكي يزرع الأمل في صفوف المقاومة وسط هذه الأجواء القاتمة.

– مهما تصاعد عنف الاحتلال وبطشه، وتوسّعت مخطّطاته البشعة، لن ينال من عزيمة الثوّار، بل إنّ ممارسات الاحتلال الخبيثة تذكي نيران المقاومة وتزيد من إلحاحها على الصمود والتحدّي والتضحيّة في سبيل العقيدة والوطن.

– المرأة الأم والزوجة في شعر هارون لا تؤخذ ككيان مستقل، بقدر ما تؤخذ كجزء من قضيّة كبرى وتجربة إنسانيّة شاملة. وكثيراً ما يتماهى الوطن بالمرأة، فهي تمثّل عند الشاعر، الوطن، والهويّة والانتماء. وقد أصبحت وسيلة مهمّة للتحريض واستنهاض الهمم على الثأر.

المصادر والمراجع

– القرآن الكريم

– بياري، سناء (٢٠٠٦م): الأبعاد الموضوعيّة والفنيّة في شعر هارون هاشم رشيد، رسالة ماجستير، فلسطين، جامعة بيرزيت.

– الحمود، نجيبة فايز (٢٠١٣م): «صورة اللاجئ الفلسطيني في شعر هارون هاشم رشيد/ ديوان مع الغرباء نموذجاً»، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد التاسع والعشرون (٣)، صص ١١–٥٠.

– الخليلي، علي (٢٠٠٢م): مختارات من الشعر العربي الفلسطيني الحديث، عمان، منشورات أمانة عمان الكبرى.

– الدروع، قاسم (١٩٩٩م): نحو تربيّة وطنيّة هادفة، عمان، المطابع العسكريّة.

– رستم بور، رقية، وفاطمة شيرزاده (١٣٩١ش): «صورة الشهيد في شعر أحمد دحبور ومعين بسيسو»، فصليّة لسان مبين، قزوين، جامعة الإمام الخميني (ره) الدوليّة، السنة ٤، العدد ١٠، صص ٧٦–٩٦).

- رشيد، هارون هاشم (١٩٩٨م): ديوان وردة على جبين القدس، ط١، القاهرة، دار الشروق.
- الرقب، شفيق (١٩٨٤م): شعر الجهاد في عصر الموحدين، عمان، مكتبة الأقصى.
- شاهين، أحمد عمر (٢٠٠٠م): موسوعة كتاب فلسطين في القرن العشرين، ج٢، غزة، منشورات المركز القومي للدراسات والتوثيق.
- الشنباري، ميسون أحمد (٢٠١٥م): صورة الطفل وأثره في شعر أحمد دحبور، رسالة ماجستير، غزة، جامعة الأزهر.
- صدوق، راضي (٢٠٠٠م): شعراء فلسطين في القرن العشرين، ط١، بيروت، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر.
- الضمور، عماد (٢٠١٤م): «تجليّات المعاناة في شعر خليل زقطان»، مجلة النجاح للأبحاث، المجلّد ٢٨، العدد ٤، صص ٩٢١-٩٤٠.
- كلاب، محمد (٢٠١٢م): «البطولة في شعر الشهيد إبراهيم المقادمة»، مجلة الجامعة الإسلاميّة للبحوث الإنسانيّة، المجلد ٢٠، العدد١، صص ١-٣٩).
- موسى، إبراهيم نمر (٢٠٠٩م): «تجليات الوطن والثورة في شعر كمال ناصر»، مجلة دراسات العلوم الإنسانيّة والإجتماعيّة، الجامعة الأردنيّة، المجلد ٣٦، العدد١، صص ٢٦-٤٣.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی